سُورَةُ غَافِرٍ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾

[غَافِر: ٦]

القراءات: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بحذف الألف التي بعد الميم على الإفراد، وقرأ الباقون: بإثباتها على الجمع ووقف عليها الكسائي بالإمالة.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ الجمهور (كلمة ربك) بالإفراد وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بصيغة الجمع والإفراد هنا مساوٍ للجمع لأن المراد به الجنس بقرينة أن الضمير المجرور بـ(على) تعلق بفعل (حقت) وهو ضمير جمع فلا جرم أن تكون الكلمة جنسًا صادقًا بالمتعدد بحسب تعدد أزمان كلمات الوعيد وتعدد الأمم المتوعَّدة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ﴾

[غَافِر: ٢٠]

القراءات: (يدعون) قرأ نافع وهشام وابن ذكوان بخلف عنه بتاء الخطاب على الالتفات وقرأ الباقون بياء الغيب، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان.

التوجيه: قرئ: (يدعون) على الغيبة، إعراضًا عن مخاطبة الكفار الذين يدعون من دون الله أندادًا، فهم لا يستحقون مخاطبة الله لهم، ومخاطبتهم - كما في قراءة التاء (تدعون) - إنما هو خطاب غضبٍ وسخطٍ لا خطاب رحمةٍ وإحسان، كما يفيد خطابهم كذلك التوبيخ والتهديد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [غَافِر: ٢١]

القراءات: (أشد منهم قوة) قرأ ابن عامر (منكم) بكاف الخطاب موضع الهاء على الالتفات وقرأ الباقون (منهم) بضمير الغيب.

التوجيه: قال الرازي: وقرأ ابن عامر وحده (كانوا هم أشد منكم) بالكاف والباقون بالهاء، أما وجه قراءة ابن عامر فهو انصراف من الغيبة إلى الخطاب كقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥]. بعد قوله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفَاتِحَة: ٢] والوجه في حسن هذا الخطاب أنه في شأن أهل مكة فجعل الخطاب على لفظ المخاطب الحاضر لحضورهم. وهذه الآية في المعنى كقوله ﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ [الأنعام: ٦]. وأما قراءة الباقين على لفظ الغيبة فلأجل موافقة ما قبله من ألفاظ الغيبة.

قلتُ: ويصح أن يقال: قراءة (منهم) على سبيل الغيبة إعراضٌ عنهم لكفرهم وعدم استحقاقهم لمخاطبة الله لهم، وقراءة (منكم) على سبيل الخطاب للتبكيت والتهديد والتوبيخ، فهو خطاب غضبٍ وسخطٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غَافِر: ٢٦]

القراءات: (أو أن يظهر الفساد) قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر (وأن) بالواو المفتوحة بدلًا من (أو) و(يظهر) بضم الياء وكسر الهاء. وقرأ ابن كثير وابن عامر (وأن) بالواو المفتوحة بدلًا من (أو أن) و(يَظْهَر) بفتح الياء والهاء، وقرأ حفص ويعقوب (أَوْ أن) بزيادة همزة مفتوحة قبل الواو مع سكون الواو و(يظهر) بضم الياء وكسر الهاء و(الفساد) بالنصب وقرأ الباقون وهم: شعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر (أو أن) و(يظهر) بفتح الياء والهاء و(الفساد) بالرفع.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر (وأن) بواو العطف وقرأ غيرهم (أو أن) بـ (أو) التي للترديد أي لا يخلو سعي موسى عن حصول أحد هاذين وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر بضم ياء (يظهر) ونصب (الفساد) أي يبدل ويكون سببًا في ظهور الفساد وقرأه ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم ويعقوب وخلف بفتح الياء ويرفع (الفساد) على معنى أن الفساد يظهر بسبب ظهور أتْباع موسى أو بأن يجترئ غيره على مثل دعواه بأن تزول حرمة الدولة لأن شأن أهل الخوف عن عمل أن ينقلب جبنهم شجاعة إذا رأوا نجاح من اجترأ على العمل الذي يريدون مثله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غَافِر: ٣٥]

القراءات: (قلب متكبر) قرأ أبو عمرو وابن عامر بخلف عنه (قلب) بالتنوين وقرأ الباقون بترك التنوين وهو الوجه الثاني لابن عامر.

التوجيه: قال الرازي: قرأ ابن عامر وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائي (قلب) منونًا (متكبر) صفة للقلب والباقون بغير تنوين على إضافة القلب إلى المتكبر.

قال أبو عبيد الاختيار الإضافة لوجوه: **الأول-** أن عبد الله قرأ (على قلب كل متكبر) وهو شاهد لهذه القراءة.

الثاني- أن وصف الإنسان بالتكبر والجبروت أولى من وصف القلب بهما وأما الذين قرأوا بالتنوين فقالوا إن الكبر قد أضيف إلى القلب في قوله تعالى ﴿ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ ﴾ [غَافِر: ٥٦]، وقال تعالى ﴿ فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٣]، وأيضًا فيمكن أن يكون ذلك على حذف المضاف أي على كل ذي قلب متكبر. وأيضًا قال قوم: الإنسان الحقيقي هو القلب وهذا البحث طويل وقد ذكرناه في تفسير قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣- ١٩٤] قالوا ومن أضاف فلابد له من تقدير حذف والتقدير يطبع الله على قلب كل متكبر.

وقال ابن جرير: واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار (خلا أبي عمرو بن العلاء) على (كُلِّ قَلْبِ مُتكَبِّرٍ) بإضافة القلب إلى المتكبر بمعنى الخبر عن أن الله طبع على قلوب المتكبرين كلها ومن كان ذلك قراءته كان قوله (جبار) من نعت (متكبر) وقد روي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ على قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بإضافة القلب إلى المتكبر لأن التكبر فعل الفاعل بقلبه كما أن القاتل إذا قتل قتيلًا وإن كان قتله بيده فإن الفعل مضاف إليه وإنما القلب جارحة من جوارح المتكبر وإن كان لها التكبر فإن الفعل إلى فاعله مضاف، نظير الذي قلنا في القتل وذلك وإن كان كما قلنا فإن الأخرى غير مدفوعة لأن العرب لا تمنع أن تقول: بطشت يد فلان ورأت عيناه كذا أو فهم قلبه فتضيف الأفعال إلى الجوارح وإن كانت في الحقيقة لأصحابها.

قلتُ: قراءة (على كل قلبٍ متكبر) بالتنوين على وصف القلب بالتكبر تفيد أنّ فعل الجوارح إنما مرجعها إلى فعل القلب نفسه، وقراءة (على كل قلبِ متكبرٍ) بترك التنوين تفيد أنّ عمل القلب يؤثر على بقية الجوارح والأعضاء، فتصير النفس متصفة بما وصف به القلب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [غَافِر: ٣٧]

القراءات: (فأطلع) قرأ حفص بنصب العين وقرأ الباقون: بالرفع، (وصد): قرأ: عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بضم الصاد وقرأ الباقون: بفتحها.

التوجيه: قال الرازي: قرأ حفص عن عاصم (فأطلعَ) بفتح العين والباقون بالرفع. **قال المبرد:** من رفع فقد عطفه على قوله (أبلغ) والتقدير (لعلي أبلغُ الأسباب) ثمّ أطلعُ إلا أنّ حرف ثمّ أشد تراخيًا من الفاء. ومن نصب جعله جوابًا والمعنى لعلي أبلغ الأسباب

فمتى بلغتها أطلع، والمعنى مختلف لأن الأول لعلي أطلع والثاني لعلي أبلغ وأنا ضامر أني متى بلغت فلابد وأن أطلع.

وقال ابن عاشور: والاطلاع بتشديد الطاء مبالغة في الطلوع، والطلوع: الظهور، والأكثر أن يكون ظهورًا من ارتفاع ويعرف ذلك أو عدمه بتعدية الفعل فإن عُدِّي بحرف (على) فهو الظهور من ارتفاع وإن عُدّي بحرف (إلى) فهو ظهور مطلق وقرأ الجمهور (فأطلع) بالرفع تفريعًا على (أبلغ) كأنه قيل: أبلغ ثم أطلع وقرأه حفص عن عاصم بالنصب على جواب الترجي لمعاملة الترجي معاملة التمني وإن كان ذلك غير مشهور والبصريون ينكرونه كأنه قيل: متى بلغت اطلعت وقد تكون له ههنا نكتة وهي استعارة حرف الرجاء إلى معنى التمني على وجه الاستعارة التبعية إشارة إلى بُعْد ما ترجاه وجعل نصب الفعل بعده قرينة على الاستعارة.

وقال الألوسي: قرئ (فأطلعَ إلى إله مُوسَى) بالنصب على جواب الترجي عند الكوفيين فإنهم يجوِّزون النصب بعد الفاء في جواب الترجي كالتمني ومنع ذلك البصريون وخرجوا النصب هنا على أنه في جواب الأمر وهو (ابنِ) كما في قوله:

يا ناق سيري عنقًا فسيحًا ... إلى سليمان فنستريحا

وجوز أن يكون بالعطف على خبر لعلي بتوهم «أن» فيه لأنه كثيرًا ما جاء مقرونًا بها أو على (الأسباب) على حد قول بعضهم: ولبس عباءة وتقر عيني.

وقال البعض: إن هذا الترجي تمنٍّ في الحقيقة لكن أخرجه اللعين هذا المخرج تمويهًا على سامعيه فكان النصب في جواب التمني والظاهر أنّ البصريين لا يفرقون بين ترجٍّ وترجّ، وقرأ الجمهور بالرفع عطفًا على (أبلغ).

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٤٠]

القراءات: (يدخلون) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة وأبو جعفر ويعقوب بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء.

التوجيه: قراءة (يُدخلون) بضم الياء وفتح الخاء تدل على أنّ دخولهم الجنّة إنما هو بإدخال الله لهم، لا سبيل لهم إلى الجنة إلا بفضل ربهم، وقراءة (يدخلون) بفتح الياء وضم الخاء تدل على أنّهم إذا فتح لهم بابها يُقدِمون على الدخول فيها راضين مشتاقين فرحين، بخلاف أهل النار الذين يدخلونها كارهين محزونين.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]

القراءات: (ادخلوا) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة (ادخلوا) بهمزة وصل وضم الخاء وإذا ابتدءوا ضموا الهمزة. وقرأ الباقون بهمزة قطع مفتوحة في الحالين وكسر الخاء.

التوجيه: قال الرازي: قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم (أَدْخلوا ءال فرعون) أي يقال لخزنة جهنم: أدخلوهم في أشد العذاب. والباقون: ادْخلوا على معنى أنه يقال لهؤلاء الكفار: ادخلوا أشد العذاب. والقراءة الأولى اختيار أبي عبيدة. واحتُج عليها بقوله تعالى (يُعْرضون) فهذا يفعل بهم فكذلك (ادْخلوا). وأما وجه القراءة الثانية فقوله تعالى (ادْخلوا أبواب جَهنم).

قلتُ: قراءة (ادخلوا) بهمزة الوصل تفيد أنّ الملائكة الذين أمروا بقوله تعالى: (أدخلوا آل فرعون) يقولون ذلك لآل فرعون عند إدخالهم النار، ويحتمل أن يكون خطابًا

لآل فرعون من ربهم، على أنه خطاب غضبٍ وسخطٍ وتوبيخ وطردٍ ولعنة، ولاشك أنّ النفس المخاطبةَ بهذا الخطاب يدخلها من الهمّ والغمّ والحزن ما الله به عليم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ [غَافِر: ٥٢]

القراءات: (لا ينفع) قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر بياء التذكير والباقون بتاء التأنيث.

التوجيه: قرئ بالتاء باعتبار تأنيث لفظ المعذرة، وقرئ بالياء باعتبار أنّ تأنيث المعذرة غير حقيقي بل مجازي، كما أنّه قد فُصل بين الفعل (ينفع) والفاعل (معذرتهم) بالمفعول (الظالمين) فجاز التذكير، فهما استعمالان مشهوران معروفان عند العرب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [غَافِر: ٥٨]

القراءات: (ما يتذكرون) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بياء وتاء على الغيب وقرأ الباقون بتاءين على الخطاب.

التوجيه: قال الألوسي: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي تذكرًا قليلًا تتذكرون. وقرأ الجمهور والأعرج والحسن وأبو جعفر وشيبة بياء الغيبة والضمير للناس أو الكفار قال الزمخشري: والتاء أعم وعلله صاحب التقريب بأن فيه تغليب الخطاب على الغيبة وقال القاضي: إن التاء للتغليب أو الالتفات أو أمر الرسول ﷺ بالمخاطبة أي: بتقدير قل قبله وآثر العلامة الطيبي الالتفات لأن العدول من الغيبة إلى الخطاب في مقام التوبيخ يدل على العنف الشديد والإنكار البليغ فهذه الآية متصلة بخلق السماوات وهو كلام مع المجادلين وتعقبه صاحب الكشف بأنه يجوز أن يجعل ما ذكر نكتة التغليب فيكون أولى لفائدة التعميم أيضًا فليفهم والظاهر أن التغليب جارٍ على احتمال كون الضمير للناس واحتمال كونه للكفار لأن بعض الناس أو الكفار مخاطب هنا والتقليل

أيضًا يصح إجراؤه على ظاهره لأن منهم من يتذكر ويهتدي وقال الحلبي: الضمير إذا كان للناس فالتقليل على معناه الحقيقي والمستثنى هم المؤمنون وإذا كان للكفار فهو بمعنى النفي ثم الظاهر أن المخاطب من خاطبه ﷺ من قريش.

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غَافِر: ٦٠]

القراءات: قرأ ابن كثير وأبو جعفر ورويس وشعبة بخلفٍ عنه بضم الياء وفتح الخاء «سيُدخَلون» وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الخاء وهو الوجه الثاني لشعبة.

التوجيه: قراءة (سيدخلون) بضم الياء وفتح الخاء تفيد أنّهم يدخلون النار رغمًا عنهم كارهين محزونين مغمومين، وقراءة (سيدخلون) بفتح الياء وضم الخاء تفيد أنّهم لا يملكون عند دخول النار تمنعًا ولا إفلاتًا ولا يحاولون ذلك أصلًا، بل ينقادون لملائكة الله التي تسوقهم إلى النار، والعياذ بالله.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾ [غَافِر: ٦٧]

القراءات: قرأ ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي و(شِيُوخًا) وقرأ الباقون (شُيُوخًا).

التوجيه: قال القرطبي: (ثُمَّ لتكُونُوا شُيُوخًا) بضم الشين قراءة نافع وابن محيصن وحفص وهشام ويعقوب وأبو عمرو على الأصل لأنه جمع فَعْل نحو قَلْب وقُلُوب ورأس ورءوس وقرأ الباقون بكسر الشين لمراعاة الياء وكلاهما جمع كثرة وفي العدد القليل أشياخ والأصل أشيخ مثل فلس وأفلس إلا أن الحركة في الياء ثقيلة.

❁❁❁